الدر الخالد
في
مناقب الوالد

تأليف محمد محمود بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم
العلوي المتوفى ١٢٣٥هـ

- الطبعة الأولى -
الناشر زاوية سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم

مقدمة الدر الخالد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلي سيد المرسلين وعلى ءاله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد فإننا نقدم إليك أليك أيها القارئ الكريم كتاب :الدر الخالد فى مناقب الوالد "العلامة الشيخ سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم

ذالك الكتاب الذى يحكي جوانب مهمة من شخصية هذ الرجل الذى استوعب مافى بلاده من معارف قبل أن يطوف اللآفاق متعلّما ومعلما حتى حصل جل علومك عصره ثم عاد إلى وطنه معلما ومصلحا

وإن كان يفهم من عنوان الكتاب أنه مجرد تعداد لمناقب هذا العالم فإنه مع ذالك جمع مباحث علمية جزيلة وتحقيقات نفيسةفى مواضع فقهية شتى ,كا العقوبة المالية واستعمال طبق الدخان وطهورية الماءالغدير لأهل البادية والتي خالف فيها الإمام مالكا رحمه الله تعالى واستدل عليه باصوله مما يثبت أحقيته بالوصف بمجدد الدين فى القرن الثالث عشر الهجري كما تناول حكم (ونكالة)وفوق ذالك من مباحث لغوية وعروضية وطرف أدبية

إضافة إلى كونه أول وأهم كتاب تناول حياة الشيخ سيدى عبد الله ,بتفصيل ,من أقرب وأعرف أحد به ,ألا وهو ابنه ووارث علمه تلميذه العلامة :محمد محمود بن سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم كل ذالك من الأهمية جعل إدارة الزاوية تقوم بطبع ونشر هذا الكتاب وتقديمه للباحثين

لأول مرة بصورته الصحيحة الموجودة فى حضن حفيده المرحوم "الحضرمى بن خطرى "مؤسس الزاوية ولسان حالها ينشد قول المصلح ابن باديس "إنما تقاس درجة الأمم بما تنتجه من رجال وإنما تكون منتجة للرجال يوم تصير تعرف أقدار العاملين من أبنائها "

وهي إذ تقدم إليك هذا الكتاب ترجو من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به المسلمين عامة إنه علي ذا لك قدير وبالإجابة جدير

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الأمانة العامة للتوجيه والبحث

لزاوية سيد عبد الله ولد الحاج إبراهيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم

يقول محمد محمود بن شيخنا ووالدنا سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي أعلانا الله وإياه آمين.

الحمد لله ذي الجلال والكبرياء الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء فحملوا أعباء شرعه ونقحوا فروعه وأصوله وفضلهم بفضله على سائر خلقه وجعلهم من كل خلف عدوله وأزكى الصلاة وأتمى السلام على النبي محمد واسطة الأنام وسلك النظام وزبرقان[1] الظلام العربي العدناني القرشي الهاشمي وعلى آله وأصحابه الحماة للدين الخيرة الثقات بدور الدئادي وبحور الصوادي[2] ما غدى الغادي وحدى بالأنغام حادي وفاض الآتي بين جلهتي الوادي وبدت عجرفة من البادي ونادى بالعرف منادي في النادي وسحب أردانه[3] جحيفا[4] نزيف[5]، وسد حجرته عن النكر والبغاء عفيف، وجاد جواد بكرائم ماله والطريف، وتأدب في نديه بثواه[6] ولقلقه[7] ظريف، وعم بآلائه في اللؤواء[8] وغيره القوي والضعيف اللطيف، وآذا الشاء والأتي[9] المهج[10]، وغاص اللئالي

---

[1] – بكسر فسكون القمر وليلة أربعة عشر وخمسة عشر.
[2] – العطاش
[3] – الأردان ج: ردن بضم فسكون أسفل كم القميص
[4] – مصدر جحف أي تكبر وقيل الجحيف أن يفتخر الرجل بأكثر مما عنده
[5] – السكران
[6] – مكثه
[7] – اللسان ومنه الحديث من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي وفي رواية دخل الجنة وهم اللسان والبطن والفرج.
[8] – الشدة
[9] – الأتن بضمتين ويسكن الثاني جمع أتان الحمارة.
[10] – والهمج بفتحتين ج: همجة ذباب صغير كالباغوضة يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ثم استعير لرذال الناس فقيل لهم همج.

سابح بين اللجج، وفر ملهوف غرب إلى وحج، وحمى نور الله قسيسا ومتعبدا من الزلج[11]، ونيل نجاح بدناج[12] الدنج، وسبل[13] سابل محجة وحجاج[14] درج[15]، وتضرع عارف بدجة[16] ديجوج[17] ذات دجج[18]، واعتمر معتمر ولبا حجيج وثج[19] وعج[20]، وسكب مطر ووكف[21] وسح وتبعق[22] وثج[23]، هذا ولما كان التعريف بالمشايخ من دأب المحققين، وصنفوا فيه نظما ونثرا الدواوين. إذ به يعرف الفاضل من المفضول. والمسخوط عليه من المقبول وصحة العزو والنقول وفائدة ذلك لا تخفى إلا على من كانت قلوبهم غلفا[24] ألا تراهم كثيرا ما يقولون قول فلان مقدم على قول فلان لعلو مرتبته عنه وقول فلان لا يعبأ به لضعفه واعتزاله ونحو ذلك ونقل فلان عن فلان غلط لأنه قبله أو بعده أو ليس بأرضه أو لم يلتقيا، أردت أن أعرف المرزأ[25] الصمد[26]، الحلاحل[27] السميدع[28] اللوذعي[29] الوالد. بوسعي وإن كان كربع

---

11 – الزلج بضمتين السراح من جميع الحيوان والصخور الملس وهو بسكون الوسط وفتحه وفتح الأول المكان الزلق.

12 – إحكام الأمر وإتقانه والدنج بضمتين العقلاء من الرجال.

13 – وسبل ككتب الطرق جمع سبيل وسابلة: مسلوكة

14 – والحجاج بفتح وبكسر الحاجب وحاجب الشمس

15 – الدرج الطريق

16 – والدجة بضم شدة الظلمة.

17 – ديجوج مظلمة.

18 – والدجيج بضمتين تراكم الظلام

19 – سال بكثرة دماء البدن وغيره

20 – رفع صوته بالدعاء والاستغاثة وهذا تلميح إلى الحديث أفضل الحج العج.

21 – وكف الدمع والماء سال

22 – تبعق المطر انصب بشدة

23 – والثج سكب الماء بنفسه انصب

24 – هي التي لا تعي شيئا كأنها غشيت بغلاف

25 – الكريم الذي يصيب الناس خيره كثيرا.

26 – الصمد بالتحريك السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر

27 – السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه: وقيل هو الضخم المروءة

28 – السميدغ بالفتح: الكريم السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف وقيل هو: الشجاع.

29 – الحديد الفؤاد واللسان الظريف كأنه يلذع من ذكائه قال الهذلي:

عزة لما رجوت من اقتنام الثواب ولقلة معرفة أهل الزمن بالناس حتى أنهم ربما رأوا المفضول فاضلا والفاضل مفضولا لجهلهم ماهية الفضل والعياذ بالله وأحصر ذلك في مقدمة فيها نسبه وتاريخ وفاته وما يتعلق بذلك وثلاثة أبواب الأول في علمه وما يتعلق بذلك والثاني في ورعه وما يتعلق بذلك والثالث في عباداته وكراماته وما يتعلق بذلك وسميته الدر الخالد في معرفة الوالد، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فما بال أهل الدار لم يتفرقوا ... وقد خف عنها اللوذعي الحلاحل

المـــــــــقدمة:

أما نسب الوالد رحمه الله تعالى: فهو سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام عبد الرحمن العلوي نسبة إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والمشهور عند هذه القبيلة أنه من ذرية محمد بن علي الشهير بابن الحنفية قيل له ذلك لأن أمه من بني حنيفة بطن من بكر بن وائل بن قاسط بن ربيعة وربما وجدوا أنهم من ذرية فاطمة الزهراء وإلى كرم نسبهم أشار بعض أدباء إدابلحسن بقوله:

بنو علي ذووا عز ومكر مة وسودد وعلوا بالعـــلم أزمانا

فالعلم علمهم والمجد مجدهم ولا أحاشي من الأقوام إنســـانا

لم يحذو حذوهم في المجد غيرهم وكان أصلهم من لب عدنانا

وعندي لصحة هذا النسب وإن كان يعلمه الخاص والعام والحاضر والغائـــب دلالات أولها أن أبناء علي كثيرا ما يصابون في أبصارهم وتلك عادة في بـــني هاشم معروفة قديمة من ذلك ما روي أن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنـــه دخل على معاوية بعد ما كف بصره فقال ما بالكم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له وما بالكم أنتم معشر بني أمية تـــصابون في بـــصائركم وثانيها الجواب المسكت وقد اعترف لإدوعل بذلك كما هو العادة في بـــني هاشم من ذلك جواب عقيل المتقدم ولما اشتد مرض معاوية أخـــبروه يومـــا بدخول ابن عباس عليه فتجلد وأنشد في وجهه:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الـــــدهر لا أتضعضع

فانشده ابن عباس:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تـــنفع

وثالثها أن بني هاشم كانوا أعز الناس نفوسا وهذه الخصال الثلاثة في إدوعل فإنها أكثر القبائل علما وأنقبها فهما ويشهد لهم كل الناس بذلك وحـــدثني الفقيه سيدي صالح التنواجوي أنه فهم يوما مسألة عويصة قبل جميع التلاميذ فقال له شيخه يا سيدي صالح أنت قلت أنك تنواجيوي ولست كذلك فقال لم لم أكن كذلك فقال له الشيخ لفهمك هذه قبل التلاميذ الموصوفون بالفهم ولكن أخبرني ممن أمك فقال له علوية فقال له ذاك فهم العلويين وقال فـــيهم الشاب الشاطر:

رأيت رجالا لم أر قط مثلهم .:. بشنجيط سكناهم من أقصى المغارب

وإصابة العينين كثيرة فيهم. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا علي يوم فتح خيبر ليعطيه الراية فأوتي بعلي وهو واضع يده على عينيه لا يبصر الناس من شدة وجعهما له فتفل عليه السلام فيهما فبرء من حينه ولم يعد إليه وجعهما بعد ذلك فناوله الراية وقاتل حتى فتح الله على يديه خيبر. وعزة النفس كثيرة أيضا فيهم لا يخافون أحدا ولا يهابونه يضرب بهم المثل في ذلك قويهم وضعيفهم سواء فيه وهم ينقسمون إلى بيض وسود والوالد رحمه الله تعالى من البيض وقبيلته منهم بن الإمام وفيه وفيهم يقول عبد الله بن الولي الكامل سيد محمود الحاجي: أخبرني الوالد رحمه الله تعالى أن البركة التي في آل الإمام نالوها من جدهم وذلك أن أخواله كان عندهم موضع بتينبكت يستجاب فيه الدعاء يحملون إليه المولود ويدعون له فيه بصالح الدعاء وفعلوا ذلك بجد آل الإمام لأنهم أخواله وقد ولد عندهم فجعل الله فيه البركة وتسلسلت في عقبه إلى أن انتهت إليهم رياسة تجحك دينا ودنيا وعلما

وسياسة واشتهروا بذلك كل الاشتهار في البوادي والأمصار صغيرهم عند الأنام كبير اهـ ومن مشاهير أخوالهم سيدي أحمد باب صاحب حاشية خليل ونيل الابتهاج في تذييل الديباج أي ديباج ابن فرحون ذو العلوم الشهيرة والمناقب الغزيرة الذي لم يجد أهل الغرب فيهم مثله لما قدم إليهم في سبايا تينبكت وكان أهل تينبكت لما فتحت حملوه على فرس لينجو عليه فسقط مكانه وأخذ ثم صنف بعد ذلك مصنفا على وجوب تعلم ركوب الخيل وأما أم الوالد رحمه الله تعالى فغلاوية أحمدية قيل أنها كانت نائمة ليلة حملها به فانتبهت فإذا عمود نور خارج من سرتها صاعدا إلى السماء ففزعت فزعا شديدا فانتبه زوجها من فزعها فقصت ما رأت فقال لها حملت بولد صالح . أما أبو الوالد رحمه الله تعالى فهو إبراهيم ولقب الحاج لما حج بيت الله الحرام وحج معه أخوه محمد وماتا جميعا قافلين من الحج فدخلا في عموم قوله عليه السلام: "من مات في طريق مكة مقبلا أومدبرا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" أما إبراهيم فمات رحمه الله تعالى في قرية من قرى مصر يقال لها جد, بنوا عليه قبة لما رأوا من بركاته أما محمد فلم أدر موضع موته وكان كل منهما أخبر الآخر وهما بولاتة أنه يموت في طريق الحج أما كتب إبراهيم فبعث بها الوالد بعد قدومه من الغرب ابن أخته فأتى بها إلى تججك وأما كتب محمد فأضاع بعضها بعض بنيه وما بقي نقله إلى تججك أيضا وكان محمدا أسن من إبراهيم وكانا كالشقيقين ولم يكونا كذلك وكان إبراهيم الغاية في الورع والزهد ومعرفة الفنون بأسرها وكان متقشفا في الملبس والمعاش أخبرنا الوالد رحمه الله أنه كان لا يأكل إلا دقيق الشعير الملتوت ببول الإبل وكان الغالب عليه الاعتزال عن الناس والتصوف وكان من تلامذة سيدي عبد الله بن محم بن القاضي العلوي وأجازه في مصطلح

الحديث وكان الوالد رحمه الله تعالى يقول لي أرجو أن تكون مثل والدي لا مثلي أنا فإن الناس غلبوني على الدخول في أمر دنياهم وتعين علي ذلك وأنا أرجو من الله ما قاله فإنه الكريم الوهاب وكان جد الوالد الإمام عبد الرحمن موصوفا بالصلاح وكثرة البركة وكانت له اليد الطولى في فن الجداول والأسرار لأنه كان عنده شمس المعارف الكبرى أخبرني الوالد أنه كان يعني الإمام يعمر الجدول على الحمامة وهو صبي فلم تقدر على الطيران حتى يأخذها [وهو سبب هزيمة أولاد أبوهم يوم صركاك بين العلويين البيض قتل رحمه الله يومئذ به امرأة القت عليه حجرا من رأس حائط وهو ماش في الطريق] وكان أبوه الإمام الكبير من أهل الخطوات كما أخبرنا بذلك الوالد رحمه الله تعالى وقد قال بعض الصالحين إن الوادي الذي به تجحك إنما صلح ببركته وقال صوفي ألتقى مع صالح عند روطته قل لأهل تجحك لا يتركون زيارة الإمام الكبير فلولا هو صب عليهم العذاب صبا وأخبرني الوالد رحمه الله تعالى أن آل الإمام لم يمت منهم أحد حتى يعلم بموته قبل ذلك وأن الجاهل من أوائلهم من لا يعرف غير خليل والألفية يعني من الكتب الكبار أما تاريخ وفات الوالد رحمه الله تعالى فتوفي في مغرب الجمعة ودخل في قوله عليه السلام: "ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله ضمة القبر". ليلة ثمان وعشرين من ربيع الثاني عام ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف (1233هـ) وكان عاش نحو الثمانين وأخبر قبل مرضه بموته بإشارات منها قوله بعد آخر قضاء قضاه:

ما كنت أحسب أن الشمس قد غربت .:. حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

ناشـــدتك الله في حفظ الوداد فقد .:. بانت سليمى وهـــــذا آخر الخبر

الـــــــباب الأول في علمه:

كان رحمه الله لا يبارى ولا يجارى ولا يشق غباره في الفـــروع والأصـــول والقواعد والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع والتفـــسير والروايـــات والتجويد والرسم والحديث تفسيره ومصطلحه والمنطق والتوحيد والحـــساب والعروض والسير والتاريخ وغيرها من كل ما قدمته العامة والخاصة في ذلك كله من أهل الغرب كله وقال من له دراية إنه في درجة الاجتهاد وقال فيـــه بعض العلماء العارفين أنه أعلم من مالك وقال فيه بعض العلماء الحجاج أنه ما رأى من بلاد المغافرة إلى المدينة المنورة مثله مع ما رزقه الله مـــن جـــودة القريحة فكان إذا سئل لا يجيب حتى يتدبر مـــدلولات الألفـــاظ والقواعـــد والأصول والفصول والأعراف والعمل وقال فيه بعض أكابر الصالحين أنه أبلغ في الباطن من الظاهر ولذلك لا يراه ولي ولو جل إلا اعترف لـــه بالفـــضل وسكن تحت لوائه وكان رحمه الله تعالى يفسر في الفقه خليلا وتحفـــة ابـــن عاصم ورسالة ابن أبي زيد وابن عاشر والأخضري مع اطلاعه على الأمهات كلها كالمدونة والواضحة والعتبية والموازية وابن الحاجب ومختصر ابن عرفـــة والبيان والتحصيل لما في المستخرجة من التعطيل لابن رشد ومقدماته وذخيرة القرافي وفروقه وغير ذلك وكان رحمه الله تعالى يفسر في العربيـــة الجروميـــة ولامية الأفعال والفريدة والألفية والتسهيل مع اطلاعه على غير ذلـــك مـــن مطولاتها ومختصراتها وكان رحمه الله يفسر في الأصول ابن السبكي ونظمه هو مراقي السعود مع اطلاعه على جميع مطولات الفن ومختصراته وكان رحمه الله يفسر في البيان تلخيص المفتاح ونظمه نور الأقاح مع اطلاعه على مطولاتـــه ومختصراته كان رحمه الله يفسر في المنطق السلم ومختصر السنوسي مع اطلاعه على مطولاته ومختصراته وكان رحمه الله يفسر في القواعد المنهج والتكميـــل

وفي مصطلح الحديث ألفية العراقي ونظميه هو طلعة الأنوار وغرة الصباح وفي الروايات الشاطبية والدرر اللوامع والتفصيل لابن غازي في العشر الصغير ونظمه هو الذي نظم فيه قراءة الثلاثة الذين تركت الشاطبية من العشر الكبير وفي الحديث البخاري ومسلما والموطأ والشفا والجامع الصغير وفي العروض الخزرجية ونظم ابن غازي على المتدارك والدوبية وفي التصوف حكم ابن عطاء الله وفي الوعظ العلوم الفاخرة في أهوال الآخرة وبالجملة فلا يعلم ما يعلم من العلوم إلا الله سبحانه وتعالى ولا يعبر عنه من يعرفه إلا بذلك كان إليه المفزع في كل فن جامعا بين غزارة الرواية وجودة الدراية وبين الشريعة والحقيقة تضرب به الأمثال في ذلك كله يخاله من يعرفه يحفظ كل شيء وكان يتقن المذاهب الأربعة على حد السواء وكان كثيرا ما يقول ليس كذا في المذهب الفلاني أو ليس إلا فيه أو اختلفوا في آية كذا أو حديث كذا فهم فلان كذا وفلان كذا ولكنه مالكي وكان يعتمد في التوحيد على مصنفات السنوسي الكبرى والوسطى والصغرى وشروحه لها ولا يحب أن يدرس في رمضان إلا القرآن والحديث والتوحيد ويقول: قال صلى الله عليه وسلم: "جددوا إيمانكم" وكان يحب تدريس القرآن في كل وقت تفسيره وروايته وتجويده وهو الأحب لديه ويحث كل أحد عليه وينشد كثيرا هذين البيتين:

فواجب عليهم محتم قبل الشروع أولا أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات لينطقوا بأفصح اللغات

ويقول لأكابر تلاميذته هل فيكم من يحسن الفاتحة يعني مخارجها فلا يوجد فيهم من يحسنها إلا الواحد أو الإثنان وكان من مبالاته بالمخارج والصفات يقرأ الربع فيما يقرأ فيه غيره الحزب.

ومـــــــــن مـــــــصـــنـــفـــاتـــه

نظمه مراقي السعود وشرحه عليه نشر البنود في الأصول ونـــور الأقـــاح في البيان وشرحه له فيض الفتاح. وليس في الفنين مثل هذين الشرحين وروضة النسرين في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها يسر النـــاظرين. وطلعة الأنوار في مصطلح الحديث وشرحها هدى الأبرار وغرة الصباح على شرطي البخاري ومسلم وشرحها نيل النجاح ورشد الغافل في ذم علوم الشر وتعريفها وشرحه. وهذه النصوص كلها أنظام وله نظم في مكفرات الذنوب وله شرح عليه وهذه التآليف كلها قرأتها عليه إلا مراقي الـــسعود وروضـــة النسرين وله تأليف صغير الحجم غزير العلم سماه طرد الضوال والهمل عـــن الكروع في حياض مسائل العمل تكلم فيه على ما يعتبر من العادة والعمـــل وما لا يعتبر منهما وما به يحكم ويفتى من أقوال العلماء وشـــروط الفتـــوى والإجارة عليها ومراتب الحاكم ومن يحكم بشهادته مع فروع عديدة وفوائد مفيدة وله رسالات منها مطالع التنوير في آفاق التطهير وهي رسالة حـــسنة جدا تدل على إتقانه للأصول أفاد فيها طهورية الغدير المتغير بأبوال الماشـــية وارواثها ومنها تحرير المقالة في تحريم ونكاله وأفاد فيها وأجاد ومنها طيـــب المرعى في حقيقة الاسترعا وقد أحسن فيها غاية الإحسان وله نوازل كـــثيرة اعتنى بها علماء العصر واعتمدوا عليها في أقضيتهم وفتاويهم وكان رحمه الله.

أخـــــــــــذ عـــــــــــن:

سيدي محمد البناني الفاسي والمختار بن بون الجكني وسيدي عبـــد الله بـــن الفاضل بن بارك الله بن أبي زيد اليعقوبي الشمشاوي وغيرهم مع فـــيض الله عليه الذي لا يحصى بحد ولا عد وانتفع به رحمه الله خلق كـــثير بالمباشـــرة

والوسائط ولاسيما من ولاتة إلى مرسى السفن على جهة الغرب فإنه كان عمدة أهل تلك البلاد حاضرهم وباديهم.

ومـــمـــن أخـــذ عـــنـــه رحمه الله:

الولي العارف بالله خالنا الولي الكامل عبد الله بن سيد محمود الحاجي ومحمد بن ابات المرازي وسيد احمد بن محمد بن الحبيب التنواجيوي وسيد مولود بن محمد الشيخ الجكني وسيد احمد بن علي بن المختار العلوشي وأحمد بن المختار الجكني وأخوه سيد احمد الحبيب وألمين بن سيد احمد بن سيد الهادي الجكني وأخوه سيد المختار سيدي أحمد بابا ابن محمد الجكني وعمر بن احمد مولود بن الشيخ سيد ألمين الجكني والسالك بن عمار العلوي والطالب بن حنكوش العلوي وسيد بن مولود العلوي وعبد الرحمن بن اطويلب العلوي والإمام أحمد بن الإمام العلوي وعبد الرحمن بن الجود الغلاوي وعبد القادر بن سيد بن الحاج العلوي واحمد بن الطالب ابراهيم الجماني والحبيب بن الطالب ابراهيم الجماني وسيدي محمد بن عبد الرحمن بن الطالب سيد احمد الكنتي والطالب أحمد بن اطوير الجنة الحاجي وكان لازمه أكثر من عشرين سنة وقرأ عليه ما لم يقرأ سواه وكان من أحب الناس على الوالد ونال منه خيرا كثيرا وأخوه التقي وأخوه محمد محمود وعبد الله بن احمد بن باحمد الحاجي وسيدي المصطفى بن عبد الرحمن بن اناه التنواجيوي وسيدي بن عبد الرحمن التاكاطي واعمر بابان التاكاطي وأحمد بن سيد المختار بن المحجوب المسومي وعبد الرحمن بن المختار بن الحبيب المسومي وابراهيم بن الطالب بي البساتي ومحمد بن الطالب ابراهيم البساتي ومحمد بن محم عاشور العلوي وصالح بن عبد الوهاب الناصري والحبيب بن محمد بن هاه الجكني وسيد احمد الحبيب بن محمد بن أحمد حبيب الجكني والحافظ بن المختار بن الحبيب

بن اكريش العلوي ومحمود بن الطالب احمد بن اعمر كين التاكاطي وبسوب بن احمد مولود المحجوبي وعبد الوهاب بن الطالب أعل الفلالي وكان من أجود الناس قريحة وأحمد بن محمد البلالي ومحمذ بإعجام الذال بن سيدي الديماني والطاهر بن أخيار انتاج السوداني ومحمد بن أعل بن المعلوم بن ثالوله السيداوي وسيد ابراهيم بن الطالب جدو بن مختير الغلاوي وسيد عبد الوهاب الكلكمي والمختار بن الطالب اعبيد الجكني وسيد النفاع الدليمي وعبد الرحمن بن محمد بن اعبيد التركزي ومحمد بن احمد جدو الصانع وقواد بن الشيخ المختار بن اخليفه الغلاوي ولمخيتير بن محم بن بركه المهاجر وسيد ابراهيم بن الطالب محمد الزبيري وأخوه أحمد جدو وأخوه سيد المختار وكان الوالد رحمه الله تعالى لقبه بصاحب المسجد فهذا ما استحضرته الآن من مشاهيرهم وبالجملة لا يحصى من أخذ عنه وأكثر من أخذ عنه من قبائل الزوايا بنوا جاكان وتلاميذته على فرقتين فرقة يربيها أحسن التربية وفرقة يعلمها ويرشدها إلى أفعال الخير من غير تربية وما صاحبه أحد إلا وبان فيه الخير ورغب في الآخرة وزهد في الدنيا ولا يفسر لأحد إلا ما يعلم أنه يفهمه ولا يفسر لأحد كثيرا ولا يفسر دون شرح إلا شيئا خفيفا.

فصل في رحلته:

كان رحمه الله رحل إلى الغرب ومكث فيه سبع سنين الغالب عليه الفاسيان الجديد والبالي ومراكش وهي التي أخذ فيها عن البناني واشتهر في الغرب غاية الاشتهار واعترف بفضله الفاجر والبار وقدمته القرى والأمصار وصار أقرب خاصة سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي اسماعيل السلطان وأحسن عليه كثيرا أحسن عليه الرحمن ومن أعظم إحسانه عليه أنه قدم من الغرب بأزيد من أربع مائة كتاب كل واحد انفس من الآخر فيها الكتب التي لم

تكن بولاتة ولا شنجيط من مواهب الله لنا وله الجنة بلا عقاب ولا حساب وإحجاجه له مع ابنه مولاي اليزيد وقال أهل الغرب ما صاحب السلطان سيدي محمد ونجا منه إلا الوالد وقد جاهد معه في سبيل الله النصارى وكان الوالد رحمه الله يحبه ويثني عليه بالسياسة والكرم والشجاعة وثقته بالله وأنه لا يتطير كالملوك ويذكر من ذلك أنه بعث إليه ليلة فأتاه فجعل السلطان يذاكره في العروض إلى أن ذكر له الوالد الحزم وهو أن يزاد صدر الشطر بدون خمسة أحرف كما قال الخزرجي رحمه الله:

وإن زدت صدر الشطر ما دون خمسة .:. فذلك حزم وهو أقبح ما يرى

فأنكره السلطان لأنه لم يكن يعرفه وكانت له يد في العروض فأرسل إلى بعض الحذاق في العروض فلما أتاه سأله وهو واقف ترعد فرائصه عن الحزم هل هو في العروض أم لا فقال نعم فسأله عن شاهد عليه فأجابه بقول علي كرم الله وجهه:

اشدد حيازمك للموت فإن الموت لاقيكا .:. ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فقال له الوالد لا تقل ذلك وقل قول امرئ القيس:

وكأن أبانا في أفانين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل

فقال له السلطان دعه فإنما ذالك عند الله يعني أن الموت موقت في علم الله لا يتأخر عنه أحد ولا يتقدمه أحد كما قال تعالى: {فإذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون} فلم يتطير بالبيتين **قلت** محل الشاهد على الحزم في البيتين اشدد فإن الحروف الأربعة زائدة على أصل البيت لأن البيتين في بحر الهزج وتفعيله مفاعيل أربع مرات ومحله في بيت امرئ القيس وكأن فإن الواو زائدة على أصل البيت لأن البيت في بحر الطويل وتفعيله فعول مفاعيلن مثمنا وإنما نهاه الوالد رحمه الله عن البيتين وإن كان فيهما محل

الاستشهاد لأنه لا ينبغي أن يقال مثل ذلك للملوك أي لا يحكى عليهم ما يتطيرون به وما لا يحبونه وكثيرا ما يضربون الشعراء ويزجرونهم على ذلك قيل أن ابن مقاتل الضريري لما أنشد الداعي العلوي قصيدة مطلعها:

موعد أحبابك بالفرقة غدي قال له الداعي بل موعد أحبابك أنت يا أعمى ولك المثل السوء وروي أيضا أنه دخل على الداعي يوم المهرجان وأنشده:

لا تقل بشر وقل بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير به الداعي وقال أ أعمى يتدئ الهزأ في يوم المهرجان وقيل بطحه أي القاه على وجهه وضربه خمسين عصا وقال إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه وفي خزانة الأدب أن سليمان بن عبد الملك طرد أبا النجم الشاعر من الرصافة على قوله:

والشمس قد كادت ولما تفعلي كأنها في الأفق عين الأحولي

لأن سليمان كان أحول وسمعت من بعض الطلبة أنه طرد ذا الرمة على قوله:

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنه من كلا مفرية سرب

فصل في ذكر مسائل:

خالف فيها من قبله وأوضح فيها الحق منها:

مسئلة ماء الغدير الذي تغير بأبوال الماشية وأروائها فإنه حكم بطهوريته لأهل البدو وهي أحدى روايتين عن مالك وإنما تردد فيه لأنه حضريا فلو كان باديا عاين عسر الاحتراز وعسر الاحتراز أصل عنده يجلب العفو في الماء والنجاسة وهو من الأصول الأربعة التي عليها مدار الفقه كما في جمع الجوامع للسبكي هذه زبدة كلامه عليه في رسالته مطالع التنوير **قلت** وهذا واضح وإن ثقل على كثير من الناس لأن عسر الاحتراز منه ظاهر وكونه يجلب العفو أظهر وما خالف فيه المخالف إلا تقليدا لخليل وأن خليلا عندهم لا يخطئ وذلك باطل ألا ترى شراحه يقولون كثيرا قوله كذا خلاف المشهور أو صوابه كذا ونحو ذلك لكنه في مسألة الغدير لا ملامة عليه لأنه حضري واتبع فيها إمامه ولا لوم أيضا على الإمام لكونه حضريا مع أنه لو كان باديا وقال بعدم طهوريته لما سلمنا له ذلك وقلنا تناقض قولك تقول عسر الاحتراز يجلب العفو وتقول هذا الماء مضاف وهذا من أسباب مخالفة أهل المذهب له ولذلك تراهم يقولون قال مالك كذا وقال ابن القاسم كذا وهو الراجح لكونه وافق الأصل ومالك خالفه فإن قلت كيف يخالف الأصل وهو له **قلت** لذهول أو عدم ملاحظته له حينئذ وقد يرجع عن قول ويؤيدوه لما ظهر لهم من قواعده أنه المعتمد مع ما تقرر في الأصول من أن القول المرجوع عنه لا ينسب لقائله انظر عبد الباقي والشيرخيتي عند قول خليل وفي الزنا خلاف.

ومنها العقوبة بالمال فإنه قال بجوازها وبجواز العقوبة فيه وقال إنها لم تنسخ وحكم بها الصحابة والسلف الصالح قاله ابن فرحون في تبصرته وقد جرى بها العمل في المشرق والمغرب مع وجود السلاطين إلى عام اثنين وعشرين ومائة

وألف 1122 فارتفع الخلاف بالإجماع على العمل بها أما بلد لا حاكم فيه ينفذ الأحكام فلا خلاف في جوازها فيه أولا وآخرا كما قاله ميارة في شرح لامية الزقاق انتهى وألف فيها تأليفا استحضر منه هذا البيت:

وجوز العقوبة الـماليه إن عـدمت أحكامنا الشرعيه

فإذا تأملت نقله ظهر لك أن قول صاحب العمليات أنها نسخت إجماعـا إلا مسائل ليس كذلك وممن قال بجوازها مطلقا البرزلي كما قالـه صـاحب العمليات ونصه:

ولم تجز عـقوبة بالمالي أو فـيه عن قول من الأقوال
لأنها منسوخة إلا أمـور مـازال حكمها على الأمر يدور
كأجرة الملد في الخصام والطـرح في المغشوش في الطعام
والبرزلي أخذ في العموم وهو كقول الشافعي القـديم
ورده المعاصر ابن الشماع فنسـخها مضى عليه الإجماع

ومثل الناظم بقوله إلا أمور بقوله كأجرة الخ, يعني أن أجرة العون تكون على الخصم إذا ألد وهو قول ابن العطار قاله ابن الهندي وصوبه ابن عرفـة ورد بحث ابن الفخار فيه وإليه أشار ابن عاصم في تحفته بقوله:

وأجرة العون على طالب حق ومن سواه إن ألد تستحق

وقوله والطرح الخ, يعني أن الطعام المغشوش يعاقب من غش فيه بتصدقه وقد نص على ذلك ابن الحاجب وخليل حيث قال وتصدق بما غش ولـو كثـر الحطاب هذا قول مالك وقال ابن القاسم لا يتصدق بقليل ولا كثير انتـهى ومعنى العقوبة بالمال أن يعاقب السلطان ومن له سطوة من خالف الـشرع باخذ مال له على ذلك على حسب ما يظهر له من قليل أو كـثير ومعـنى العقوبة في المال أن يعاقبه في ماله بإتلافه عليه **والحاصـل** أن الأصـل في

العقوبة المالية الجواز لفعل الصحابة لها كإراقة عمر اللبن والسلف الصالح من بعدهم كما قاله ابن فرحون في تبصرته ولقول بعضهم إنها نسخت ولا نسخ إلا بعد الثبوت **وقال** الحطاب عند قول خليل ولو كثر وقال القرطبي في حديث التي لعنت الناقة وأتت النبي صلى الله عليه وسلم يستفاد منه جواز العقوبة بالمال في المال لمن جنا فيه بما يناسب ذلك وقال في الإكمال فيه العقاب بالمال لينزجر غيرها انتهى ولكن اختلفوا في النسخ وعدمه فمن قال نسخت قال لم يجز ومن قال لم تنسخ قال بالجواز وقد تنازع فيها علماء تونس عام ثمانية وعشرين وثمانمائة ه828 فأفتى البرزلي بالجواز وناهيك به وألف في ذلك تأليفا وخالفه الشيخ أحمد بن الشماع ورد عليه ثم قال في آخر كتابه مخاطبا لأمير وقته الذي استشارهم في النازلة:

أمن ملك الأنام ومن إليه .:. تناهى العز والشرف الخطير
ومن عظمت وقائعه وجلت .:. صنائعه فتم بها السرور
على أساس مجدك في البرايا .:. وجدك والتقى نصب السرير
شددت الملك بالتقوى فتمت .:. خصال المجد واحتطم النقير وشيدت
المباني إذ بناها .:. بنو حفص فعز لك النظير
عززت نصرت غالبت الأعادي .:. ظفرت وفزت والله النصير
عقدت العزم في ترك الخطايا .:. ومثلك لا يخون ولا يجور

وهي قصيدة طويلة يحضضه فيها على ترك العقوبة المالية وأن لا يسمع قول البرزلي ويوعظه فيها ويذكر حجج منعها عنده وقال في موضع آخر:

برأت إلى الذي برأ البرايا من الفتوى بتعجيل الخطايا
لقد عظمت مصيبتنا وجلت وحلت بالأنام لها رزايا
فدونك أيها المفتي تمهل لعذر عند من علم الخفايا

رجعت القهقرا خبطت عشوى وخالفت القواطع والجلايا طويت
شريعة الإسلام طيا ولم تخف الذي علم الطوايا وراغمت الكتاب
ومن تلاه وسنة خير من ركب المطايا

وهي قصيدة حسنة السبك وهذا الخلاف رفعه العمل المتصل كما قال الوالد رحمه الله لأن العمل إذا كان على قول يقدم ولو كان غير مشهور كما قال ناظم العمل:

وما به العمل غير مشهور مقدم في الأخذ غير مهجور

ومحله في بلد فيه حاكم ينفذ الأحكام وإلا جاز بلا خلاف كما قاله ميارة في شرح لامية الزقاق فظهر لك أن الحق الذي لا غبار عليه جوازها في بلادنا هذه السائبة كما قال الوالد غمده الله برحمته وقد نازعه في ذلك الطالب بن الحاج الرقيق بالتصغير العلوشي لما عاقب الوالد رحمه الله أهل تججكه بالمال فاختلف آراء أكابر أهل الحجرة في هذا المنازع فمنهم من قال يقتل ومنهم من قال يعاقب بالمال ومنهم من قال يطرد من البلد فبلغه ذلك ففر إلى الحوض فلما وصله مات وكان الوالد رحمه الله أمسك عن الوقوع فيه تورعا وألف في جواز ما نازعه فيه كما تقدم ذكر ذلك وقال الولي العارف خالنا عبد الله بن الولي الكامل سيد محمود الحاجي في ذلك أشعارا يمدح فيها الوالد رحمه الله ويعرض بهجاء ذلك المنازع وربما صرح وكان مفلقا لا يجارى ولا يبارى فمن ذلك قوله:

دعت قوافي الشعر أشياعها وضاعفت للسب أدراعها
ولم يكن يلين لي صعبها ولم أكن من قبل مطواعها
حتى انتضى شيخ الهدى صارما ينفي عن البيضاء قطاعها
فاسرحت قريحتي قارحا وجللت من نقعه قاعها

وانشبت أظـــــفارها بالعدا واترعت من عرضهم صاعها

ومن ذلك قصيدته التي مطلعها:

أثرت من الآساد يا ابن الرقيقي هصورا متى ترمق محياه تفرق

ورمت من الآطام أطول شاهق متى ترقه يا ابن الرقيق ترلق

وهي قصيدة حسنة يقول في أثنائها:

رويدك لاتركض حمارك إنـــــما تعارض لو تدري به شأو نقنقي

فذلك عبد الله لست بـــــــقربه وما الطل مثل العـــارض المتدفق

ومهما تخض ذاك الخضم ولم تكن على سفن التسليم ويحك تغرقي

وقال في ذلك لهذا المنازع أيضا المختار بن سيد احمد بن سيد الهادي الجكني:

يا من يناضل ضـــوء الدين للبشر جاريت ويك جياد الخيل بالحمر

أتعبت نفسك يا مسكين ما أحد يصغي لقولك من سكان ذا الحجر

لو كان حلل شرب الخمر سيدنا حاشاه حل لأهل البدو والحـــضر

ومنها مسألة الجيم فإنه وجد أهل إقليمه يقرأون بالجيم المتفشي ويقول من له دراية منهم أن ذلك أفصح فخالفهم إلى الحق وهو أن الجيم لـــيس هـــو المتفشي وإنما هو المقلقل ومن حججه على ذلك أن أهل التجويـــد وصـــفوه بالشدة كما قال ابن بري في نظمه لمخارج الحروف. والـــشدة في أجـــدت قطبك ثمان أحرف. ومعلوم أن التفشي ينافي الشدة فإذا جئت بهمز وصـــل مكسور وسكنته لتعرفه تفشى وليس هو من حروف التفشي قال ابن بـــري والمتفشي الشين والفاء وقيل يكون في الضاد ويدعى المستطيل ومعنى قولنـــا فإذا جئت الخ يعني فذلك أن أهل التجويد قالوا من أراد أن يعـــرف مخـــرج حرف أو صفته أتى بهمز وصل مكسور وسكن الحرف الذي يريد معرفتـــه فإنه يعرف بذلك كما قال بعضهم:

وهمز وصل جئ به مـــكسورا وســـــكن الحرف تكن خبيرا

ومما يدلك أيضا على أن الجيم موصوف بالشدة قول ابن مالك في التسهيل في باب مخارج الحروف ومنها شديدة يجمعها: أجدك تطبق ابن عقيـــل ومعـــنى الشدة على ما ذكر سيبويه امتناع الصوت أن يجري في الحروف فلو رمت مد صوتك في القاف والجيم مثلا نحو الحق والحج امتنع ويجمعها اجدك تطبـــق وجمعها من قبله اجدك قطبت انتهى واعلم أن ما عدى حروف الشدة مـــن الحروف رخوة إلا هجاء لم يرعونا فمتوسطة بين الشدة والرخاوة قال ابـــن بري:

وما عـــــداها رخوة لاكنا يـــــــــــقل في هجاء لم يرعونا

وقال في التسهيل بعد قوله المتقدم ومتوسطة وما عداها رخوة انتهى والرخاوة جري الصوت في الحرف وحروفها ثلاثة عشر والفرق بين الهمس والرخـــاوة أن الجاري في الهمس النفس والجاري في الرخاوة الصوت والمهموسة حـــث شخصه مسكت وما عداها مجهورة فالجيم المتفشي كالشين قبـــيح قـــال في التسهيل فصل لهذه الحروف فروع تستحسن وعدها ثم قال وفروع تـــستقبح ابن عقيل أي لا توجد في لغة من ترضى عربيته ولا تستحسن في قـــراءة ولا شعر ثم مثل لها في التسهيل بقوله كاف كجيم وجيم ككاف وجيم كـــشين ابن عقيل وأكثر ذلك إذا سكنت وبعدها دال أو تاء كقـــولهم في الأجـــدر الأشدر وفي اجتمعوا اشتمعوا انتهى فمن نظر ما نقلناه أيقن أن الجيم المتفشي لحن كما قال الوالد رحمه الله وإذا كان لحنا كان مكروها في غـــير القـــرآن والحديث وحراما فيهما بل تعمده ردة وهذا حكم كل لحن فقـــول بعـــض المحكمين لأنفسهم بمجرد ظنونهم المصادم لنصوص أهل العربية والتجويـــد أن

المتفشي أحسن مطلقا أو في غير القرآن والحديث أو مساو لذي الشدة مهَـــةٌ ووهْمٌ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن

وحظك تسليم العـــــلوم لأهلها وحسبك فيـــــها أن تكون متابعا

ومنها مسألة طبق والشم فإنه وجد عامة إقليمه إلا القليل منهم على جـــواز استعمالها فخالفهم وقال أهل الباطن كلا على التحريم فمن أباحها فليس من أهل الباطن الحقيقي وقال أخبره بعض أولياء الغرب عن بعض أكابر الأولياء نفعنا الله ببركاتهم أنه رأى بعين رأسه تحريمها في اللوح المحفوظ وقال إن مـــن مات يستعملها يحول الله وجهه عن القبلة والعياذ بالله وقال لأهل الظاهر فيها قويلة شاذة بالجواز والمعتمد عندهم التحريم وقال في قول ميارة الكبير علـــى ابن عاشر إن بعضهم جوز القليل من الدخان للتداوي ودل قول النـــصاري الذين هم أدرى الناس بالطب ما خلق الله شجرة إلا وجعل فيها فائـــدة إلا شجرة الدخان فلو كان فيها طب ما قالوا ذلك لأن الطب من أعظم الفوائد وهو كما قال الناظم:

الطب حفظ صحة برأ مـــــــرض من سبـــــب في بدن عنه عرض

وقال مدح أبي الحسن علي الأجهوري لها لا ينهض حجة إذ لا دليل فيه ولا يسمع لأنه

يشربها وقال في قوله انفتاح حروفها يدل على الفتح فيها للـــدواء أن ســـقر مفتوحة فما مدلولها ولا خفاء في عدم الحجة في ذلك وقد مـــدحها علـــي الأجهوري..... بقوله ومما مدحها به على الأجهوري أيضا قوله:

وذات دخان كنت جهرا أحبها فلم أسمعن فيها مـــــــلامة لائم

تطرب للتدريس مـــــهما تمله وتسليك عن وصل الحسان النواعم

ومن حججه رحمه الله على منعها قوله صلى الله عليه وسلم "كل مسكر حرام" قلت كونها مسكرا أوضح من شمس صحو لأن المسكر ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة وفرح كما قاله في التوضيح في الفائدة التي ذكر فيها الفرق بين المسكر والمفسد والمرقد وقال إنها قد تنفع الفقيه عند قول ابن الحاجب والجمادات وما ليس من حيوان طاهرة وهذه الفائدة هي التي نظم ميارة في تكميل المنهج بقوله وهذه فائدة قد تقع من الفقيه موقعا وتنفع في الفرق بين مسكر ومفسد يعرفه منها وبين مرقد الخ وقول بعض الجهلة إن من لا تسكره حلال له ليس بشيء لقول ميارة في التكميل أن علل الحكم بعلة غلب، وجودها اكتفى بها عن الطلب لها بكل صورة كالقصر وممن نص على تحريمها ميارة في كبيره على ابن عاشر في باب الزكوة وعزاه للأكثر وفي تكميله المنهج حيث قال والقهوة التي بمصر تعمل تجري على الدخان فيما أصلوا وحكمة التحريم لا لذاته بل للذي يعرض في صفاته ونص سيدي أحمد بن ناصر الدرعي في أجوبته على تحريمها معا عند أهل الظاهر والباطن ولفظه اتفقت علماء الظاهر أهل الحقائق وأهل الباطن على تحريمهما ولم يقل فيها بالحلال إلا أهل الأهواء ولا يشربها إلا المتفيقهون ومن يشرب طبق أو يشم الشم ليس له عندنا شيء انتهى. ويفيدك أن قول ابن المختار بن الأعمش العلوي في نوازله قد حرمها الأكثرون وأباحها المحققون ليس كذلك بل حرمها الأكثرون المحققون وأما قول سيدي أحمد بابا في حاشيته على خليل بحليتها فقد رجع عنه كما روي عن بعض تلامذته مع الذي افتى به أبا العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني لما سأله عنها جواز القليل منها ولفظه: وقد سألت عنها شيخنا الحافظ علامة زمانه سيد أحمد بابا السوداني ابقى الله بركاته فأجابني بجواز القليل منها قائلا إن الأشياخ بذلك افتوا وعين لي من

جملتهم شيخه الإمام المحقق سيد محمد وهذا الرجل يزعم السودان أنه المبعوث على رأس المائة العاشرة لتجديد الدين في قطرهم انتهى المراد منه انظر شرح التكميل للناظم وبغيغ بضم الباء وسكون الغين المعجمة وضم الياء التحتية بعدها غين ضبطه تلميذه سيد أحمد بابا في نيل الابتهاج على الذيل بالديباج أي الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم محمد بن محمد بن فرحون اليعمري الأبدي ثم الجياني الأصل المدني المولد وقال آخر قضاة العدل الفقيه المحصل أبو سالم سيد إبراهيم الجلالي أنه طالع كراسة بيد مولاي الشريف الفقيه الأستاذ المحدث المورخ أبي محمد سيد عبد الله بن طاهر نبه مؤلفها على تحريمها واستدل عليه بأدلة عديدة منها أنها من المسببات المندرجات تحت المفسدات للعقل المحرمات لإحداثها سباتا وما يكسبها ذلك من الفساد محرم ومنها أن شربها يستلزم جريان أجزاء محرقة بدليل مشاهدة بقاء الأجزاء كذلك في الأنبوب الذي يشرب به وأكل المحروق لا يجوز ولو كان خبزا ومنها ما فيها من ضياعة المال المنهي عنه من غير منفعة وما يتوهم فيها من الدواء باطل إذ الدواء لا يشرب دائما وإنما يستعمل عند الحاجة فصار شربها عادة السفهاء والسفلة وهي لا تزيل داء وإنما تميت القوة التي تحس به عند بقائه كما أن الخمر لا تذهب الهم وإنما تغيب عن الشعور به والتمييز له ومنها ما في تعاطيها من قلة الحياء وذهاب المروءة حتى صارت علما للأشرار فلا يتعاطاها سواهم وما شأنه ذلك يجتنب لما فيه من التشبه بالأشرار هذا ما تعلق بحفظه منها ثم قال وفيها أيضا أن تسميتها بطابة حرام لأن ذلك تسمية الفسقة شربتها تشريفا لها وتعظيما أخذوا لها الاسم من طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كما سمى شربة الخمر خمرهم بإسماء شريفة عديدة وكان السلطان مولاي أحمد رحمه الله أمر

بإحراقها فأحرقت برويان فاس الجديد حين قدم من مراكش وضاع فيها مال عظيم لبائعيها انتهى قلت ذكر في ما بقي في حفظه من الكراسة أربع دلائل على تحريمها وأجاب فيها الإمام المتفنن المحدث الصوفي أبو زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي رحمه الله لما سئل عنها بالتحريم والجواب: الحمد لله وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم أزكى صلاة وأنمى تسليم وبعد فإن الذي ينبغي اعتماده بلا ثنيا ويستند إليه في صلاح الدين والدنيا مع وجوب الإعلان به والإعلام والإشادة به في جميع بلاد الإسلام أن ما عمت به البلوى من سف دخان طابة محرم الاستعمال لاعتراف كثير ممن له ميز ومعرفة وتجربة بأنها تحدث تفتيرا وضررا فتشارك أولية الخمر في نشوته وتشبه الأفيون والحشيشة في خبثها ووقوعها وقد فسر غير واحد الإفتار باسترخاء الأطراف وتخدرها وصيرورتها إلى وهي وانكسار فيها وذلك من مبادئ النشوة وذلك كله موجود فيها من غير شك ولا مين بالتجربة عند أهلها إلى أن قال وما يتوهم فيها من الدواء فليست على قاعدته بحال لأنه لا يحفظ في دواء مفرد اطراده في كل فصل إلى أن قال وقد كان يذكر لي بعض مهرة الأطباء وخواصهم أنها لا دواء فيها وإنما تميت القوة التي تحس بالداء مع بقائه وهذا يقتضي إفراط اليبس وذلك مضر وكذا كنت تكلمت فيها أول ما ظهرت مع بعض أشياخنا المحققين فقطع بذمها لنحو ما ذكرناه وصرح بعض التونسيين في نظم له بحرمتها لكونها مفترة وأن ما يفتر حكمه في الحرمة كما يسكر فإن قلت قد ترى بعض من يتعاطاها لا يشعر بتفتيرها ولا يعترف به قلت عدم شعوره لا ينفي ذلك عنها لما يعطيه طبعها كما أشرنا إليه ولما اعترف به وشهد به كثير ممن له تجربة لها وللخمر بل صرحوا بإفتارها وإضعافها عن الجماع على أنا قد نجد من يتعاطى الخمر ولا تسكره وليس ذلك بناف

لحرمتها عليه وكذلك هذه فإنها مفترة في نفسها واختلف وجدان ذلك منها لأنه قد يختلف بالشدة والضعف كالسكر فإن قلت سلمنا كونها مضرة ومفترة لما ذكرته فأين الدليل على حرمة المفتر قلنا الدليل على ذلك ما ثبت في أبي داوود ومسند الإمام أحمد عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال العلقمي حكي أن رجلا من العجم قدم القاهرة وطلب دليلا على تحريم الحشيشة وعقد بذلك مجلسا حضره علماء المصر فاستدل الحافظ زين الدين العراقي بهذا الحديث فأعجب الحاضرين قال ونبه السيوطي على صحته وكذا احتج به ابن حجر على حرمة المفتر ولو لم يكن شرابا ولا مسكرا في شرح البخاري في باب الخمر من العسل وكذا احتج به القسطلاني في المواهب اللدنية على ذلك أيضا وذكره السيوطي في جامعه ولولا صلاحيته للاحتجاج ما احتج به هؤلاء وهم رجال الحديث وجهابذته فإن قلت سلمنا دليل حرمة المفتر لما ذكرت وكونه حراما ونهوض ذلك في هذه العشبة كما نهض في الحشيشة ونحوها فهل يصح الاستدلال على حرمتها بغير ذلك أيضا أولا قلنا في هذا الدليل كفاية لأنه وصف ذاتي كالسكر في المسكر ففيه غنية فهو أقطع الأدلة ولو نظر إلى ما عرض فيها من إضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحا وجليا إلى أن قال وفيها وجوه كثيرة تفيد القبح والكراهة بل وفي بعضها ما يقتضي الحرمة كالرائحة وإسقاط المروءة والتشبه بهيئة أهل الخبث والفساد واللهو وتعويد النفس ما لا ينفعها بل يضرها ويلهيها وأكل المحترق وقد منع لإضراره إلى غير ذلك من السفه في دفع المال فيها والسرف إلى أن قال فاعتبر ما ذكرناه واعمل بمقتضاه ولا تعتقد خلافه وإهماله فإن إهمال مقتضى الدليل لا يجوز بحال عملا بحق الوارد من النصوص ولو على جهة العموم حيث لا مخصص ولا يتوقف في

ذلك كما صرح بذلك علماؤنا فإن التوقف في بعض أفراد العام إنما هو تحكم أو حمل للنص على الإجمال مع بيانه في إفراده وذلك كله إلحاد وتحريف وليس الاندراج في العموم من قبيل القياس بل من قبيل النص لاستغراقه انتهى المراد منه وجلب ميارة في التكميل الجواب برمته عند قوله وحكمه التحريم الخ فإن قلت ظاهر كلام هذا السيد وإن صرح بتحريمها أنها ليست مسكرا وأنت قدمت أنها مسكر قلت نعم لدخولها في حد المسكر بالمشاهدة لأنها تغيب العقل حتى يقع صاحبها في النار فيعذبه الله مرتين ولولا أن له طربا بها ما ولع بها حتى يبيع فيها نفائس ماله ويحبها عن الطعام والشراب الذي بهما قوام بنيته وبسبب ذلك جعلها ميارة من المسكرات بذلك وقال خليل في التوضيح أنه واضح ولفظه وقال شيخنا رحمه الله تعالى الشهير بعبد الله المنوفي يختار أنها من المسكرات قال لأنا رأينا من يتعاطاها يبيع أمواله لأجلها فلولا أن لهم طربا ما فعلوا ذلك لأنا لا نجد أحدا يبيع دار ليأكل بها سكرا وهو واضح انتهى كلام التوضيح

قال ميارة في التكميل والذي ... به المنوفي وجه السكر فذي

أجدك في الافيون والدخان ... بجامع العلة في ذا الشان

وعلى ذلك يظهر لك حجة قول الوالد رحمه الله تعالى أن من جمع قرآنا مع أحد الخبيثين طبق أوالشم مرتد لأن المسكر نجس ويحد مستعمله ويحرم قليله كما في قواعد القرافي واختصره في التوضيح ونقله الشيخ ابن غازي في تأليفه المسمى بمذاكرة السيد أبي إسحاق بن يحيى في حكم الماء المشوب المحيا وهذا خليل يقول في مختصره إلا المسكر والنجس ما استثني فتحصل من نقولنا أن طبق والشم حرام لا شك وأنهما من الخبيثات نص على تحريمها علماء الظاهر أهل الحقائق باتفاق منهم وعند أهل الباطن كلا منهم سيد أحمد بن ناصر

الدرعي كما تقدم وناهيك به ونص على تحريم طبق الإمام المتفنن المحدث الصوفي أبوزيد سيد عبد الرحمن الفاسي وأوضحه غاية الإيضاح بالدليل القاطع كما تقدم وذكره الفقيه المحصل أبو سالم سيد إبراهيم الجلالي في الكراسة التي طالعها في يدي الأستاذ المحدث المورخ عبد الله بن طاهر وذكر أربعة دلائل على تحريمها كما قدم وصرح بتحريمها بعض التونسيين في نظمه كما تقدم وأن طبق لا دواء فيها بل مضرة كما في جواب الفاسي المتقدم والكراسة التي طالعها الجلالي وقالت مهرة الأطباء وخواصهم لمن ضره أقرب من نفعه لبيس المولى ولبيس العشير وأن من جمع قرآنا معها ومع الشم يرتد كما تقدم بيانه وأن مدح الأجهوري لها وشربه لها لا حجة فيه لتجرد مدحه من دليل على الجواز ولأن أفعال العلماء لا يحتج بها وذلك خاص بالانبياء وأن ما قالوا من أن سيد أحمد بابا درج على تحليلها في حاشيته على خليل رجع عنه مع أن الذي رأيته إنما هو إجازة القليل كما تقدم ذكر ذلك وأما إدخال بعضهم في نبات الأرض فليس كذلك للضرر وتغطية العقل قال ابن عسكر في عمدته والنباتات كلها مباحة إلا ما فيه ضرر أو يغطي على العقل انتهى ونحوه للشيخ ابن مرزوق في شرح المختصر وقال شارح الإرشاد وهو الشيخ زروق وأما ما يغطي العقل فلا خلاف في تحريم القدر المغطي من كل شيء وقد بان لك بطلان قول بعضهم أن لا نص على التحريم في جواب الفاسي المتقدم وبطلان قول بعضهم أنها مسألة خلاف لا إثم فيها لأن ذلك إنما هو في الأقوال المتكافئة الأدلة وأما الضعيف فالعامل به بلا شروطه آثم ويأثم الحاكم والمفتي قال خاتمة المحققين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب عند قول خليل مبينا لما به الفتوى والذي يفتى به هو المشهور والراجح ولا يجوز الفتوى ولا الحكم بغير المشهور ولا بغير الراجح وذكر عن المازري أنه

بلغ رتبة الاجتهاد وما أفتى قط بغير المشهور وقال ابن فرحون في تبصرته ولا يجوز التساهل في الفتوى ومن عرف بذلك لم يجز أن يستفتى انتهى المراد منه قلت إلا أن لا يجد في المذهب إلا شاذا فله العمل به قال الشيخ يوسف بن عمر في شرح قول الرسالة ويستعمل سائر ما ينتفع به طيبا، الحلال ضالة مفقودة فيجتهد الإنسان في المتفق عليه في المذهب فإن لم يجد فالقوي من الخلاف فإن لم يجد فالشاذ من المذهب فإن لم يجد فينظر الخلاف خارج المذهب ولا يخرج عن أقاويل العلماء انتهى الحطاب وكذا ينبغي في كل مسألة والله أعلم انتهى فإن قلت كيف يتصور شاذ في المذهب مع وجود قوى مقابل لذلك الشاذ إذا الضعيف والشاذ كالأمور النسبية لا بد أن يكون قسميا فالجواب أنه يتصور شاذ بدون قوي بأن لم يوجد نص في المسألة للمتقدمين وقاسها متأخرون على شيء فكان في قياسهم شذوذ لعدم جريانه على سنن القياس قاله عبد الوهاب عن شيخه على الشرمسي

الـــــــــباب الثاني في ورعه

كان رحمه الله يضرب به المثل في الزهد والورع ومن ذلك خروجه من مدينته ومدينة آبائه لما قتل السالك بن عمر العلوي ابن جعفر العلوي وقال لا يسكن في بلد يسفك فيه دم مسلم بغير حق شرعي مع ما يظهره من حب ذلك البلد وحب عشيرته وكان كثيرا ما يقول قصر في الهوى بين السماء والأرض أحب إلي من خير البوادي ومن ذلك لا يقبل الزكوة ويقول لـــست مـــصرفا لهـــا فأخذها حرام علي ومن أخذها منه لم تجزه ويمنع تلامذته من أخذ العوائـــد التي توخذ في أرض المغافرة ويقول ذلك حرام ولا يسأل أحدا شيئا وإن خف ويمنع الناس من ضرب الدفوف في الأعراس ويقول أنه آض[30] حرامـــا بعـــد الجواز لصيرورته إلى اختلاط الرجال والنساء وكثيرا ما يوكل من له ســـطوة على عقوبة الاجنبيين إذا رآهما متلاقيين وكان يدمن الامتثال والاجتنـــاب لا يخاف في الله لومة لائم يقرب أهل الخير ويحبهم ويبغض أهل الشر ويـــذمهم على الإجمال ولا يقر أحدا على منكر ويرأف بالضعفاء كرأفة الآباء يدور مع المحمدية حيث دارت ويسير معها أين سارت ومن ورعه أنه يأبى ما يأخـــذه أكابر القبيلة من دية القتيل ويسمونه أركيز ومن ورعه تعظيمه للعلم فلا يضع كتابا إلا على طاهر مرتفع غير مستقذر ويقول عظموا العلم يعظمكـــم ولا يكتب كتابا على لوح ولو لم يكن فيه شيء[ومن ورعه أنه أغضبه يوما عبد فأمر بقيده وبطحه فلما أراد أن يضربه انقلب العبد على ظهره وقابله ببطنـــه فأمسك و لم يمسه وأكبه على وجهه ففعل العبد فعله الأول فلم يبرحا كذلك إلى أن أتعبه العبد فتركه] ومن ورعه أنه لا يلتفت إذا كان ماشيا ولا ينظر إلا ما بين يديه ومن ورعه أنه لا يخلو من عارف عدل يوذنه بأول الوقت ومـــن

---

[30] - رجع

ورعه رفقه بالمماليك وتعليمه لهم ما يجب عليهم ولا يتركهم سدى ومن ورعه انتقامه للبعيد من القريب ونصرته له عليه إن كان الوجه في الشرع كذلك ومن ورعه حمله للناس على مصالحهم ولو لم يحبوا ذلك ومن ورعه نصيحة القبائل اللاتي بينهم وبين قبيلته البغض العظيم والقتال كالحاجين والكنتيين ومن ورعه أنه لا يطلب المستور من مساوي الناس ولا يظهر ما يعلم من ذلك ولا يبلغ لأحد عن أحد:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهبك الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وبالجملة فتتبع أفراد ورعه يعيي اللسانين ويستغرق الجديدين إذ لا يعها من عرفه ولا يحدها ابن عرفة وفيما ذكرناه مقنع وإن كان لم يجمع.

فـــــصل في زهده

كان رحمه الله لا يحب شيئا من الدنيا سوى الكتب فإنه يحبها حبا جما نظـر يوما إلى نسخة من القاموس فإذا بحباكتها قد انفتحت فغضب غضبا شـديدا على تلامذته وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توتوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم وقال قال الشافعي:

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا انثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكـــــريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستـــــفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدى ومـكتتم
فمن منح الجـــــهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ولا يعجبه شيء منها ولا يفرح لحصوله ولا يجزع لفواته ولا يزداد واهبـها عنده حبا ولا قربا ومن زهده أنه تأتيه الأحياء من المغافرة وغيرهم يريـدون الهجرة إليه والخمود تحت إبطيه فيطردهم عن ساحة حضرتيه ويقول كونـوا مع الفلانيين من الزوايا فإني لست من أهل الدنيا ولا أحبهم ولا اقبلـهم ولا يكون معي إلا متعلم ولا يحب كثرة التلاميذ ومن زهده أنه لا يفعل شـيئا ليعظم به أو يحب ولا يطلب قرابة أحد ولا يحب أن يعظمه أحد ومن زهده عدم التبالي بالترف في الملبس والمعاش ولا يلوي العمامة إلا يوم عيد ونحـوه ويظل في اليوم الحار ظاعنا إلى الليل لا يضع شيئا على رأسه وناوله بعـض الطلبة يوما رداء ليضعه على رأسه فالقاه وقال إن العمامة شأن من لم يشهري ثم ذكر البيتين وسببهما وهما:

جعلوا لأبناء الرسـول علامة ... إن الـــعمامة شأن من لم يشهر
نور النبوءة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وسببهما أن أهل مصر كانوا يميزون بين الشريف الفاطمي وشريف الاثنين أي من ولد به باتخاذ الفاطمي عمامة خضراء وقال بعضهم هذين البيتين وبهذين البابين مدحته في القصيدة التي رثيته بها وهي هذه:

أفاض على جاشي وشاك جناني دماء شئوني أعظم الحدثان

سقاني كؤوسامن طلاء وعلقم فأمرر بما قد كان منه سقاني

وغادر نارا في حشان تأججت وسم حباب ذا أذى وهوان

وارهقني أمر فما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان

وجسمي أضناه وقل له الضنا وصمت.. من الإصغا له الأذنان

وأرقني ليل التمام ومهدت مضاضته جمر الغضا بمكان

بصولية ليلا كان نجومها بأمراس كتان وقد مثان

أو التبست وهنا عليها بروجها فحل شئام البرج برج اليمان

أما ونصيص العملات لمكة وسبح ذوات الدهج والذألان

أقل لعيني ثج قاف كعندم مدى هوديها وانسكاب جمان

ولو كان سح الدمع للمرء طائلا لما انفكت العينان تنهملان

وما ذا الأسى شخطا بما خط سابقا على وفق علم الله جري اللسان

بلوح من التبديل في حفظ حافظ ولا أنه يخشى عليه زبان

ولكن شجا قلبي تأيم غزلة عفائف لم تلمس وجها ببنان

من الفقه والتصريف في النحو حرمت على الصب ذي الأشواق والهيمان

وقد عرجت ســاق القواعد بعده كـــما كفت أنوار شمـــس البيان

ولـــيس لخرطوم البديعين راضع ولا الصـــبح أيضا من ثدي المعاني

وعينا أصول الـــعلم ما وتنا معا كعـــيني حديث المصطفى تكـــفان

ولا نطق إلا همهمات لمـــنطق ولا لكلام بـــعده ســـــردان

كما اعتجر العـــشران اسمال مهنة وكـــانا بتاج العز يعـــــتجران

وتفسير وحـــــي الله لم يـــدر بعده ولم يعلم الـــتوحيد ما يعـــملان

وأيضا حجا علم الفـــرائض بعده وإن قـــل فقد فارض منه دان

وما عـــــاقر أرض العروض بآلة خلـــيلية الإنشاء من بـــعد ثان

وأضحى اجـــتهاد مطلقا منه مطلقا فاعينه خـــزرا إلـــــيه روان

تجد بتـــهتـــان ورش وديمـــــة وبـــالسكب والتوكاف والهـــطلان

فـــهذي الفنون والحـــقيقة في الأسى عليه ســـجيش الدهر مشتر كان

فاشراكه بـــين الطريقين شركة عـــلى شرطها موضـــــوفة بعـــنان

فـــما كنت ممن غره زخرف الدنا ولذاتها اللآئي كـــــذلق ســـــنان

فإنك لم تـــقبل عـــــلى زرجونها ولم تجـــن أحلى ينـــــعها المتدان

ولكن على الأخرى فانزعت وقرها وراصـــعتها بزا بـــغير تـــــوان

والقيت حاريا جـــــديدا مشطبا عـــلى ذعلب قيد العيوق هـــجان

وعلقت حـــول الرحل أي مـــزادة قد اتقـــــنتها مســـلوقة بدهان

وسرت حثيثا منـــجدا ومغورا تجـــوب الفيافي لم تنخ بمـــــكان

إلى أن لقيت الله جل جلاله علا وتعالى عن شريك وثان

فلست بفان إذ بنيت منارة فويق السهى والنجم والخرتان

وابقيت ما لم يفنه الدهر من هدى ولكن جميع الخير بعدك فان

جزاك إله العرش عفوا يشوبه كذا وكذا من رحمة وحنان

وعوضت عن أهليك حورا نواعما وعن هذه الديران دور الجنان

تطوف بك الولدان مسيا وبكرة على رفرف وعبقري حسان

بكأس وأكوا تحفك بعدها جوار بالحان وضرب كران

عليك ثياب السيراء وسندس واستبرق في سورة وأمان

وبورك في الأبناء بعد واتحفوا من الدين والدنيابنيل الأماني

الـــــــــباب الثالث :

في ذكر تعبده وكراماته وما يتعلق بذلك.

كان رحمه الله تعالى حمامة مسجد يعبد الله الليل والنهار لا يفتر وكان يواظب على نشر العلم وتلاوة القرآن ويقرء بقراءة -البصري- والأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكر وصلاة الضحى والرواتب والحزب الكبير والسبعات ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد عصر الجمعة قبل أن يقوم من موضع الصلاة ولفظها اللهم صلى الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وســـلم تسلميا ويأمر الحاضرين بها لما جاء فيها من الفضل وكان يواظب أيضا على ورده المشهور الذي أمر به وهو مائة من لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حزب العشاء وحزب الصبح يقرؤ قبله ســـورة لإ يلاف قريش وبعده الفاتحة ثم دعاء مخصوصا لكن يختم المائة بلا إلـــه إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وعلى إقامة قراءة الأحزاب جماعة لجريان العمل بذلك قال ناظمه:

والذكر مع قراءة الأ حـــــزاب جماعة شاع مدى الأحقاب

وقال الوالد في نظم رشد الغافل:

والجمع للذكر وللـــــــــقرآن جرى به العمل في البلدان

وبه عمل الغرب كله والمشرق من غير نكير وهو من التعـــاون علـــى الـــبر والتقوى ووسيلة لنشاط الكسلان وقد نصوا على أن حكم الوسائل حكـــم التوسل إلى الله قال الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الفاسي الـــذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها المتحققين بقواعد الشريعة ومضى بـــه العمل و لم يزل معروفا جواز الجهر بالذكر واستحبابه وكذا الجمع له واستدل لذلك. ولذلك أصل في الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويدرسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده قال المازري ظاهره يبيح الاجتماع لقراءة القرآن في المساجد وإن كان مالك كره ذلك في المدونة ولعله إنما قال ذلك لأنه لم ير السلف يعلمونه مع حرصهم على الخير قال بعض الشيوخ ولعله من البدع الحسنة كقيام رمضان وغيره انظر شرح العمليات ومما يواظب عليه رحمه الله النداء بالصدقة صباحا ومساء وربما أمر به ليلا ويصرف ذلك على المساكين وإقامة مدح النبي صلى الله عليه وسلم على الحالة المعروفة في بلد المغافرة ويطعم المادحين ليلة المولد ويأمر الناس بالإطعام ويذبح بقرة لا يشاركه فيها أحد يوم اسمه عليه السلام مع ما يحضره من كسكس القمح وأنواع الأطعمة والأشربة ويطعم بذلك المادحين وغيرهم ويأمر الناس أن يصنعوا من ذلك ما يطيقون ويضرب خبـاء أو خبـائين في المراح للمادحين والمستمعين ويفرش لهم أنواع الفراش لا يختلف ذلك منه تعظيما لجانبه عليه السلام ولا يفعل شيئا كأنه في فرض ولا يعلم حينئذ أحدا ويقول ذروا كل شغل لامتداح محمد وكان رحمه الله يغلب الخوف فلم يسر ضاحكا قط ولكن يبتسم ويقول القهقهة عند الصوفية حرام لأنها تميت القلب وعند الفقهاء مكروهة ولو اطلعوا على إماتتها للقلب لحرموها كالصوفية وهي كما قال انظر عبد الباقي والشبرخيتي عند قول خليل وبطلت بقهقهة.

فائدة كان الغالب عليه صلى الله عليه وسلم التبسم كما قال سيد محمد بن سعيد بن حماد البوصيري في همزيته:

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الإغفاء

وربما ضحك حتى بدت نواجذه كما في قصة الخندق وغيرها والنواجذ بالذال المعجمة كما في القاموس آخر الأضراس قال عنترة بن شداد ابن معاوية ويقال عنترة بن معاوية بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخروم بن ربيعة بن مالك بن قطيفة ابن عبسي في معلقته:

لما رآني قد نزلت أريده أبدى نواجذه لغير تبسم

ومعلقته هي قصيدته التي مطلعها

هل غادرالشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد التوهم

ومعنى ذلك أن قريشا استحسنوا قصائد وقالوا لم ير مثلها بلاغة وكتبوها وعلقوها باستار الكعبة ومنها قصيدة أمرئ القيس التي مطلعها:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللواء بين الدخول فحومل

ومنها قصيدة البابغة الذبياني التي مطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

ومنها قصيدة علقمة بن عبدة بالتحريك بن النعمان بن قيس التميمي التي مطلعها:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

ومنها قصيدة زهير بن أبي سلما المزني التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم.

وهي التي قال فيها عمر بن الخطاب أشعر الناس من قال من ومـــن ومنـــها قصيدة طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بـــن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وائل التي مطلعها:

لخولة أطلال ببرق ثـــــــــهمد تلوح كباق الوشم في ظاهر اليد

وفيها نسخة

وقفت بها أبكي وأبكي إلى الغد وفي نسخة أخرى ظللت بهـــا الخ ومنـــها معلقة عنترة التي تقدم ذكرها فلم تزل المعلقات معلقات إلى أن نزل القـــرآن فإذا هو أبلغ منها بل صارت بالنسبة إليه ككلام البهائم فأزالوها وكان الوالد رحمه الله لا يجهد نفسه ولا يتكلف في العبادة يصلي نوافل خفيفة ومتوسطة ويصوم ويفطر ولم يدخل خلوة إلا ليلة واحدةٍ لكن لا يراه أحد إلا في عبادة إما صلاة وإما تلاوة قرآن وإما نشر علم وهو الأحب إليه وإما غـــير ذلـــك وكان لا يملك شيئا غير الكتب والعقار إلا تصدق به على يتيم أو غيره على ما يأتيه من الهدايا من تلقاء المغافرة والزوايا وله أوقاف عديدة من الكتـــب والعقار وكان لا ينام إلا قليلا من الليل في وسطه وقليلا من النهار بأوله هذا هو غالب نومه ولا يأكل ولا يشرب إلا قليلا ويذم البطنة بما هي أهل له من الذم إلا الذي عمل يتقوى بها على عمله ولا يشغله دنيوي ما عن أخروي ما وكان يكثر التفكر في المخلوقات ويحكي قول الناظم: تـــفكر في ساعة قـــد يعـــــــــدل صيام صه من الســـــنين كملوا

وكان الغالب عليه تعجيل الفطر لا غتنام ما فيه من الأجر وصلاة المكتوبـــة الأول وقتها لقوله صلى الله عليه وسلم أول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله رواه الترمذي وقال ليس بالقوى ورواه الحاكم ولقوله صلى الله عليه وسلم أول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله رواه الـــدارقطني وقـــال

النووي في خلاصة الأحكام إن هذين الحديثين ضعيفان فإن قلت لما استدللت بهما قلت الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل كما هو مقرر ومحرر في مصطلح الحديث ولأن ابن بطال قال في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وهو سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله قال الصلاة إلى وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله إن البدار إلى الصلاة في أول وقتها أفضل من التراخي لأنه إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إذا أقيمت لوقتها المستحب وإيراد النووي له في باب فضيلة أول الوقت يدل على أنه فهم منه الدلالة على ذلك لكن قال ابن حجر في أخذ ذلك من اللفظ المذكور نظر وقال ابن دقيق العيد ليس في هذا اللفظ ما يقتضي أولا ولا آخرا وقوله الصلاة على وقتها كذا وقع في بعض روايات الصحيحين وفي بعضها لوقتها ذكره البخاري في كتاب الصلاة وفي مواضع أخرى وذكره مسلم في كتاب الإيمان مع أنه لا خلاف أن أول الوقت أفضل كما قاله الخطاب وكان رحمه الله يأمر الغلمان بالأذان حتى أنه ليؤذن في مسجده بن أربع سنين ويذكر من بركة الأذان ما وقع لبغداد وذلك أن بعض الصالحين رءاها في منامه مشرفة على الإغراق في بحر دجلة فلم يلبث أن جاء ملكان في صورتي رجلين فقال أحدهما للآخر ما أمرك به ربك فقال له إغراق بغداد فقال له لم لم تفعل قال نهاني فقال لم أمرك و لم نهاك قال أمرني بإغراقها لأنها افتض فيها هذه الليلة كذا بكرا بحرام يشير لعدد كثير نسيته ونهاني لأنها أذن فيها هذا الصبح مثل ذلك والقصة في بعض شروح الجامع الصغير للسيوطي واظنه المناوي وكان رحمه الله إذا سئل عن شيء لا يعلمه يقول لا أدري وقالوا كذا و لم تظهرلي مناسبته كما قال لعبد الله بن أحمد بن

الحاج حمى الله الغلاوي لما بعث إليه يسأله عن خمس عشر مسألة منها معنى الزوجون في بيت سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي.

مضت غير ما سوف على زرجونها ولكن على مثل ابن يوسف يوسف

فأجابها الوالد كلها إلا أنه كتب له في هذه المسألة أن صاحب القاموس قال أنه نبت طيب الرائحة ولكن لم يناسب ذلك عندي معنى البيت انتهى ثلـــث بل يناسبه غاية لا نسبة لكن على سبيل الاستعارة يقول إن الدنيا مـــضت حال كونها غير ما سوف أي محزون عن زرجونها أي طيباتها التي كالزرجون في طيبه والوالد رحمه الله تعالى لم يلاحظ ذلك وإنما نظرا الحقيقة ويوجد في النهر ما لا يوجد في البحر والصارم ينبو والجواد يكبو وكان لا يحب لبـــاس غير المالوف من الثياب تورعا كالقميص والكساء والسراويل البيض في بلادنا وقد نهاني عن ذلك وقال ذلك إحدى الشهرتين وقد قال صلى الله عليه وسلم اتقوا إحدى الشهرتين

وأما كراماته فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الإكثار بالـــسأم منها إطلاعه على ما لم ينبأ به فقد وضع يوما بين يديه لبن فوضع اصبعه فوقه وجعل يحرك شفتيه فقلت في نفسي ما الفائدة في ذلك فالتفت علي وقال لي من لم ير عودا يضعه فليقرأ آية الكرسي فإنها تقوم مقامه وقد هـــم تلميـــذه الحبيب بن الطالب إبراهيم الجماني بأمر وكان شرع في سفر من عندنا فناداه وقال له لا تفعل ذلك حتى تأتينا، وقد سحرت سغنيا بتجحك تلميذه سيدي الطالب بن حنكوش فبعث إلى أهل القرية وهو يومئذ بالبادية لم يأته أحـــد بالخبر ونحن معه لم نعلم بذلك أن اقتلوا فلانة سغنيا وإلا عـــاقبتكم عقابـــا شديدا فقتلوها وبرئ المسحور من حينه وقد أصبح يوما غضبانا على أهـــل تجحك ويقبحهم فقلت له لم ذلك فقال اجتمع منهم اقوام سماهم البارحـــة

وقالوا في كذا وكذا وهو يومئذ على مسيرة يوم منهم وقال لهم يوما تشكون مني وسوف ترون مكاني إذا مت فقال بعضهم في نفسه وكان أحمق ليتك مت فالتفت إليه وقال له إذا أنا مت فسوف أترك من يقوم مقامي وكان رحمه الله كثيرا ما يقول ولا قزعة في السماء اصنعوا بيوتكم وتهيؤوا للمطر فيأتي على ما قال وقال لنا خالنا عبد الله بن سيد محمود الحاجي أنه نبأه يوما بشيء في خاطره ولم يفطن أنه كوشف لاعتقاده أنه جهر بذلك وكان يتكلم في بعض بنيه في صغره فيظهر فيه بعد ذلك ما قال وقد حدثنا خالنا محمد الراضي أنه صلى مع الوالد العشاء في مسجد تجحك وكان دخل بعد الإقامة مختفيا وذهب إثر سلامه مختفيا إلى دار بعيدة من دار الوالد لئلا يعلم به فيقريه فلم يلبث بها أن جاءه بعض طلبة الوالد بأرز جيد وقال له هذا بعثه لك الشيخ ولا يحصى منه نحو ذلك ومنها طي الأرض له حدثنا المختار بن أحمد شين أنه أصاب عينيه عود وانكسر فيها بحيث لا يستطاع قلعه إلا أن تفقأ العين فدخل بيته وقال يا عباد الله الصالحين والصالحات من الجن والإنس فرجوا عني ما اشكوه فلما اتمها إذا هو بالوالد بين يديه وأخذ العود من عينه بسبابته وإبهامه وجذبه ولم يدر أين انصرف فنادى اخته وأخبرها بذلك فقالت له أخذ عقلك فكيف ياتيك الشيخ وهو باركيب وأنت بتجحك فحلف على ذلك وقال لها انظري عيني فنظرتها فإذا العود ذهب وإذا هي كالأخرى في الصحة ثم سار في تلك الأيام بعض تلامذته إليه من تجحك فلما أتاه وسلم عليه قال له الوالد كيف عين المختار بن أحمد شين ومنها أنه لا يأمر أحدا بشيء ولو كان ثقيلا إلى وجده خيرا ولا ينهاه عن شيء ويخالفه إلا رأى منه شرا ومنها أنه إذ توجه لشيء بمجرد النية حصل فيه مراده وكان إذا أغضبه أحد يقول وكلنا الله عليه فيكون ذلك عظة للمتعظين وعبرة

للمعتبرين وتكون تلك الكلمة كالمخذم الرسوب والسهم المقـذوذ وذلـق الرديني وقد تكلمت فيه امرأة بسوء فماتت من حينها ميتة جاهلية و تكلمت فيه أخرى فحملت وهي لا زوج لها وقالت إن الحمل من أخيها و لم يخـرج منها حملها عند الولادة إلا عضوا عضوا وقد اغضبه بعض تلامذته فقال يسلبه الله عقله إلا ما لا يسقط معه التكليف لتكتب عليه سيآته فصار عن عجـل يسخر منه كل من رآه وقد كان قبل ذلك تجله الناس والعياذ بالله وقد أرسل على أهل تحكجه كما غضب عليهم الفار فأفسد متاعهم وأثاثهم بعـد مـا أرسل عليهم عنان الأرض لأخذ حيوانهم فلم يترك منـها حيوانـا وكـانوا يجعلونها في الليل لما فطنوا في اعجاز بيوتهم فيأتيها ويأخذها وكم دمر الله من القبائل العظام بسببه وأكثر ما يغضبه الزوايا لأن المغافرة لا يرتعون حول حماه إلا نادرا مع أن الزوايا أذعنت وانقادت على رغم أنوفهـا في آخـر الأمـر وجعلته مزكاها ووجهها في نواهيها وأوامرها لا يسألون غيره ولا يخلفـون أمره،

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام.

لما اقنا أنه القاموس الخضم والإمام المجتهد الأعظم القائم بأسر شريعة ابن عبدم وليس بغير الحق يتكلم و لم يدار و لم يتلعثم إذ قلده الله عضبا لم يتثلم وعلمه ما لم يكن أحد يعلم **ومنها** أنه يحل بمكان المبحي ويجعل الله البركـة فيـه فتكون المواشي فيه أحسن من غيرها والنازلون به في رغـد مـن عيـشهم يتحدث الناس بذلك ومنها ما قيل أنه ينظر في اللوح المحفوظ والنبي صلى الله عليه وسلم ومنها زيارة الصالحين له كل ليلة جمعة آخر الليل وكان تلميـذه الطالب أحمد بن اطوير الجنة الحاجي يقعد ليلة الجمعة بمؤخر الخباء لينال من بكرة الصالحين الذين يزورون الوالد رحمه الله ومنها مهابة جميع النـاس لـه

القريب والبعيد والمحب والمبغض والمحافي والمتأدب والمسلم والكافر حتى أنهم ربما يهابونه عن السؤال عن الأحكام ولذلك لا يضحك أحد في مجلسه ولا يرفع صوته ولا يتكئ ولا يتحدث بما لا يعني ولو خصمين ترى الناس حوله مطرقين كأنما على رؤوسهم الطير مع أنه كان رحمه الله لا يتبالى بالكرامات لأن الكرامات وإن جلت وإنما المدار عنده اتباع المحمدية البيضاء. لأن الكرامات مزايا والمزايا لا تقتضي الأفضلية فرب شخص يموت عطشا أفضل من آخر يمشي على ظهر البحر وممن نص على ذلك سيدي محمد الخرشي في كبيره عند قول خليل في باب الحج وركوب والأليدي عند قول البصير

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وهذا التعريف بالوالد ليس بالجامع وإنما هو تقريب للسامع إن اصغى له المسامع جعله الله عملا مبرورا نرى نفعه وأنآه عن ساحة الرياء والسمعة وجعلنا ووالدينا وفروعنا من الذين سبقت لهم منا الحسنى وانزلنا الفردوس كرما منه ومنا وصلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الأسنى ما رنا حمام على فنن به يثنى وضرب العود رفاق فغنى وأن في السماء نجما وأظهر عالم علما. هـ

انتهى والحمد لله
الذي بنعمته تتم الصالحات

الفهرسة

المقدمة: 6

الباب الأول في علمه: 10

ومن مصنفاته 12

أخذ عن: 12

وممن أخذ عنه رحمه الله: 13

فصل في رحلته: 14

فصل في ذكر مسائل: 17

الباب الثاني في ورعه 31

فصل في زهده 33

الباب الثالث : 37

الفهرسة 46